من قصص الصوفية

أبواب الخير الثمانية

قال شقيق البلخى لتلميذه حاتم الأصم ، لقد دامت صحبتنا ثلاثين عاما ، فما أثر هذه الصحبة فى نفسك وماذا استفدت منها ؟

قال حاتم لقـــد تعلمت منك واستفدت ثمان مسائل ، فقال شقيق . إنا لله وإنا اليه راجعون . ذهب عمرى معك ، ولم تتعلم إلا ثمان مسائل ؟

قال حاتم ياأستاذى أنا صادق فيما أقول لم أتعلم غيرها ولا أحب أن اكذب .

فقال له : هات الثمان مسائل حتى أسمعها . قال حاتم :

١ — نظرت إلى هذا الخلق ، فرأيت كل واحد منهم يحب محبوباً فهو محبوب إلى القبر ، فإذا وصل إليه فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فإذا دخلته دخل محبوبى معى .

فقل صدقت ياحاتم ، فما الثانية ! قال .

٢ — نظرت فى قول الله تعالى عز وجل : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى » فعلمت أن قول الله تعالى هو الحق فأجهدت نفسى حتى استقرت على طاعة الله تعالى . قال : صدقت .

٣ — نظرت إلى هذا الخلق ، فرأيت كل من معه شىء له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه . ثم نظرت إلى قوله تعالى : « ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق » ، فكلما رفع لى شىء له مقدار وقيمة وجهته إليه ليبقى لى عنده . قال : صدقت .

٤ — نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال والحسب والشرف والنسب ، فإذا هى لاشىء . ثم نظرت إلى قوله تعالى : « إن أكرمكم عندالله أتقاكم »

فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله عزوجل كريماً . قال : صدقت .

٥ — نظرت إلى هذا الخلق ، وهو يطعن بعضهم فى بعض ، ويلعن بعضهم بعضاً ، وأصل هذا كله الجدل وشدة الخصومة ، ثم نظرت إلى قوله تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » فتركت الجدل ، واجتنبت الخلق وعلمت أن القسم عند الله سبحانه وتعالى ؛ وتركت عداوة الخلق . قال : صدقت .

٦ — نظرت إلى هذا الخلق ، يبغى بعضهم على بعض ، ويقاتل بعضهم بعضاً ، فرجعت إلى قوله تعالى : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » فعاديته وحده ، واجتهدت فى أخذ حذرى منه : لأن الله سبحانه وتعالى شهد عليه أنه عدو ، وتركت عداوة الخلق عنى . قال : صدقت .

٧ — نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكثرة بذل نفس ، ويدخل فيما لايحل له . ثم نظرت إلى قول الله تعالى : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » فاشتغلت بما لله على ، وتركت مالى عند الناس . قال صدقت .

٨ — نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين ، هذا على بضاعته وهذا على تجارته ، وهذا على صنعته وهذا على صحته ، وهذا مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت إلى قول الله عزوجل : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

فتوكلت عليه فهو حسبى ونعم الوكيل .

فقال شقيق : ياحاتم وفقك الله تعالى ، فإنى نظرت فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، فوجدت جميع أنواع الخير تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة .